وكان قد لجأ إلى سطح المسجد مئات من المسلمين أعطاهم «تانكرد» الأمان، وأعطاهم رايته ضماناً لهم، إلا أنهم، في اليوم التالي (16 تموز/ يوليو)، ذبحوا، جميعهم، ذبح النعاج على أيدي جنود صليبيين دخلوا الحرم الشريف وقتلوهم جميعاً بلا استثناء لولد أو شيخ أو امرأة، غير عابئين بالأمان الذي أعطاهم إياه تانكرد، ولا برايته التي رفعوها اعتقاداً منهم أنها ستحميهم[58].

ـ عمليات المحور الثاني (المحور الجنوبي):

بدأ ريمون، كونت تولوز، يعدّ للهجوم قبل ثلاثة أيام من بدئه، أي من تاريخ 12 تموز/ يوليو، حيث كان عليه أن يطمر خندقاً عريضاً وعميقاً يفصل بين السور من الخارج، وبين مواقعه، ويجعل وصوله إلى السور، مع برجه وآلات حربه، صعباً إن لم يكن مستحيلاً. وقد لاقى ريموند مشقة كبيرة في أداء هذه المهمة، خصوصاً وأن نيران الحامية (ومنها النار الإغريقية) التي كانت تقذف عليه من داخل السور، ومن حصن داود (أو القلعة) لم تكن لتوفر له الراحة والأمان لبلوغ المهمة. ومع ذلك فإن ريموند استطاع، مساء 14 تموز/ يوليو، أن يدفع ببرجه المتنقل فوق الخندق، ويبلغ به السور.

بعد ذلك، وليل 14 ـ 15 تموز، بدأ ريموند وقواته محاولة صعبة للتقدم من جبل صهيون (قبالة باب النبي داود) باتجاه القلعة (أو حصن داود). وقد لقي المهاجمون، على هذا المحور، مقاومة أشد من تلك التي لقيها المهاجمون على المحور الأول، خصوصاً وأن حاكم المدينة أو قائد حاميتها (افتخار الدولة) كان يقود الجبهة المواجهة لريموند وقواته. واستمر القتال طيلة قبل ظهر 15 تموز، وفي هذه الأثناء، كان غودفروا قد احتل الجهة الشمالية وتوغل في المدينة دون أن يعلم ريموند بالأمر، ولا خصمه، افتخار الدولة، الذي كان يقاتل في مواجهته. إلا أن صرخات الجنود المنتصرين وصيحات الرعب والفزع التي كانت تصدر عن المسلمين الهاربين من وجه المهاجمين أيقظت افتخار الدولة على الحقيقة المرة، كما نبهت ريموند إلى انتصار حلفائه في الجهة الشمالية، فانكفأ افتخار الدولة برجاله نحو القلعة (أو حصن داود) ليعتصم فيها، بينما تقدم ريموند إلى السور فأنزل

(58) Grousset, Op. Cit., p. 159.